لغة الإعلام بين الواقع والمأمول

Media language between reality and expectations

عبد الباسط عبدالكريم مطرود*

قّسم ٱللغة ٱلعربية، كلية ٱلإمام ٱلأعظم ٱلجامعة، العراق

Dr.abdulbasit57@gmail.com

تاريخ الاستلام: 15 /06/ 2018 تاريخ القبــول: 15 /09/ 2018

ملخّص

تُعَدُ اللغة العربية بوصفها مكوناً ارتكازياً من مكونات الثقافة العربية, وعنوان هوية المجتمع العربي الاسلامي, وقناة إصال وتواصل بين الاجيال تنقل آثار الأجداد الى الأبناء, وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد.

ومع تطور وسائل الإعلام بمجالاتها المختلفة, وظهور شبكات الاتصال, وتكنولوجيا الفضاء, أضحى الحفاظ على اللغة العربية ضرورة أكثر من ذي قبل, ولاسيما في عالمنا الاسلامي .

إنَّ واقع اللغة العربية في الاعلام العربي أضحى يدقُّ صرخات الإنذار في مسامع العرب, ولا سيما المدافعين عن لغتهم الحارسين لها, لذا يأتي هذا البحث (لغة الإعلام بين الواقع والمأمول) ليسلط الضوء على أرض الواقع الإعلامي, ويبين الآثار التي خلفها الإعلام العربي تجاه لغته. فتناول البحث آثار الإعلام, ثم اللغة بصورة عامة وأهميتها وخصائصها ووظائفها, كما استعرض البحث واقع اللغة العربية المؤسف في وسائل الإعلام في عالمنا العربي والاسلامي بهدف تشخيص هذا الواقع, كما بينا أهمية اللغة الإعلامية في عصر العولمة, وبعد ذلك ختمنا البحث بذكر أهم الحلول والمقترحات التي تنهض بواقع لغتنا في الإعلام العربي.

الكلمات المفتاحية: الإعلام، الواقع، المأمول، الجهد، التكنولوجيا.

Abstract :

The Arabic language as a component Artkazia components of Arab culture, the identity of the Arab-Muslim community address, originally channel of communication between the generations and the effects of the movement of grandparents to children, and kept the glories of the descendants of the children .

With the development of different media their areas, and the emergence of networks, and space technology, it has become to maintain the Arabic language should be more than ever before, especially in our Islamic world .

The reality of the Arabic language in the Arab media has become beats cries of alarm in the ears of the Arabs, especially the defenders of their language the two guards her, so comes this research (media language between reality and expectations) for the highlights on the media reality, and shows the effects of the Arab media towards the language. Eating Find the effects of the media, then the language in general and its importance and its characteristics and functions, also reviewed the research and the reality of the Arabic language is unfortunate in the media in the Arab and Muslim world in order to diagnose this fact, as Pena importance of media language in the era of globalization, and then we ended the search by mentioning the most important solutions and proposals play by our language in the Arab media.

Key words: Media, reality, hopes, effort, technology.

* البريد الإلكتروني للمرسل: Dr.abdulbasit57@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

Media language between reality and expectations

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجه ربِّنا وعظيمِ سلطانه ، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ سيّدِنا محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحابته الغرِّ الميامين وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرَهم إلى يوم الدين. أمَّا بعد:

فاللغة عملة أبدية أزلية متداولة بين الناس ، وإذا كانت الدول تُنشئ القوانين وتسُنّ التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تُصان اللغة من التدنيس والتدليس،حتى لا يتعرض العلم والفكر الذي تحمله إلى الإفلاس. واللغة العربية بوصفها مكونا ارتكازيا من مكونات الثقافة العربية, وعنوان هوية المجتمع العربي الإسلامي وقناة إيصال وتواصل بين الأجيال تنقل أُثار الأجداد إلى الأبناء وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد ، تعدّ ضرورة لبناء مهارات التواصل الإنساني، وهى محورية وأساسية في منظومة الثقافة لارتباطها بجملة مكونات من فكر وإبداع وتربية وتراث وقيم المجتمع العربي الإسلامي.

ومع تطور وسائل الإعلام بمجالاتها المختلفة، وظهور شبكات الاتصال وتكنولوجيا الفضاء أضحى الحفاظ على اللغة العربية ضرورة أكثر من ذي قبل، ولاسيما في عالمنا الإسلامي، وعندما يتعلق الأمر بحوار الثقافات والحضارات تتعاظم هذه الضرورة بوصفها لغة رسمية للاتصالات الدولية.

إنَّ واقع اللغة العربية في الإعلام العربي أضحى يدقّ صرخات الإنذار في مسامع العرب ولاسيما المدافعين عن لغتهم الحارسين لها ،لذا يأتي هذا البحث (لغة الإعلام بين الواقع والمأمول) ليسلط الضوء على أرض الواقع الإعلامي ويبيّن الآثار السلبية التي خلّفها الإعلام العربي تجاه لغته ، فتناول البحث مفهوم الإعلام ثم اللغة بصورة عامة وأهميتها وخصائصها ووظائفها، ثم يستعرض اللغة العربية ومكانتها. كما يتناول البحث أثر الإعلام في اكتساب المهارات اللغوية وتطويرها ، ثم يركز البحث بشكل أساسي على واقع اللغة العربية المؤسف في وسائل الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي بهدف تشخيص هذا الواقع وذلك للوصول في النهاية لبناء رؤية مستقبلية لما ينبغي أن تكون عليه اللغة العربية في هذه الوسائل ، ثم بيَّنا أهمية اللغة الإعلامية في عصر العولمة ، وبعد ذلك اختتمنا البحث بذكر أهم الحلول والمقترحات التي تنهض بواقع لغتنا العربية في الإعلام العربي ، وأردفنا البحث بقائمة المصادر والمراجع التي أُعتُمدت في بحثنا هذا .

تعريف الإعلام

الإعلام في اللغة مصدر (أَعْلَمَ)المزيد بالهمزة ، والثلاثي منه (عَلِمَ) ، و((العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميَّز به عن غيره ، ومن ذلك العلامة وهي معروفة ، يقال علمت على الشيء علامة))[1] .

وتقول: ما علمت بخبرك بمعنى:ما شعرت به[2] ، وفي اللسان : ((عَلِمَ الرجل خبره وأحبَّ أن يَعْلَمَهُ أي يخبرَه ... وعلَّمَ نفسه وأعلَمَها وسمها بسيما الحرب ، ورجل مُعْلِمٌ إذا عُلِمَ مكانه في الحرب))[3].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء في المصباح المنير: ((العلم اليقين ، يقال : عَلِمَ يَعْلَمُ إذا تيقَّن ، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً كما جاءت بمعناه ، ضُمِّنَ كلُّ واحدٍ معنى الآخر لاشتراكهما في كون كلٍّ واحدٍ منهما مسبوقا بالجهل ، لأنَّ العلمَ وإنْ حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل[4]... وأعلمت على كذا بالألف من الكتاب وغيره جعلت عليه علامة))[5].

أما الإعلام في الإصطلاح فقد عرَّفه الدكتور متولي يوسف بقوله: ((هو توصيل الحقائق الصادقة إلى الناس كافة وإشراكهم في تذوق هذه الحقائق وتمكينهم من الإيمان بها))[6].

وعرَّفه الدكتور إبراهيم إمام قائلاً: ((هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات))[1].

وقال أيضاً: ((الإعلام وضع العبارة في شكل مفهوم ولا يمكن أن يكون عبثاً مجرداً من كلِّ غاية ، وإنما يكون للدلالة على أمر يخص ذلك الشيء فيطلع عليه الناس لمعرفة مضمونه والوقوف على معناه))[2].

وإذ يقوم الإعلام على الاتصال والمعرفة فهو يعني : ((تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات عبر الوسائل التقنية المختلفة))[3] ، وهذا التعريف يمنحه صفة جماهيرية ، فيبدو الإعلام عملية بثّ معلومات ومعارف وآراء وأفكار وأحكام في الجمهور وبوسائل وطرائق مختلفة. هناك علاقة وثيقة إذاً بين الإعلام والمعرفة ، ويساعد العلم بالشيء في إزالة الغموض من أمام المستعلم ، بما يقرب من تخفيف الاحتمالات والتساؤلات حول هذا الشيء.

ومن خلال هذه التعريفات يمكننا القول بأنَّ الإعلام كلمة اصطلاحية تعني إيصال فكرة أو حدث إلى الناس ، ويتضمَّن هذا المعنى عناصر عديدة ،منها الخبر ومنها المعلومة الثقافية أو المهنية أو حتى التسلية المفيدة ، على أنَّ الخبر هو أهم عنصر في هذه العناصر.

اللغة – أهميتها وخصائصها ووظائفها

يعدّ الاتصال حقا طبيعيا كفله المولى عز وجل لبني البشر وهذا الاتصال لا يتأتى إلا باللغة، تلك اللغة التي لازمت الإنسان طوال مسيرة حياته. وتكمن أهمية اللغة في أنها أهم مميزات الجنس البشري عن غيره من المخلوقات التي يتعامل معها في محيط حياته ووجوده على هذه الأرض، كما تعد وسيلة التفاهم ووعاء الحضارة فضلا عن أنها ترسِّخ في عقول أبنائها منذ الصغر أفكاراً وعادات وتقاليد هي جماع الثقافة الخاصة بالمجتمع، ومن ثم فإن نظرة الفرد والشعب إلى الحياة والكون والوجود هي غالباً نابعة من إرثه اللغوي الذي ارتضعه وتربى عليه يوماً بعد يوم.[1] لذا كان من الطبيعي أن تحظى اللغة باهتمام الشعوب على امتداد التاريخ الإنساني، وقد تمثل هذا الاهتمام في الآتي: [2]

1- إن الإنسان بطبيعته ينزع إلى البقاء، وهو يعلم أنه ميت فانٍ ، ولذا فإنه يريد أن يبقي لنفسه ذكراً بين أجياله المتلاحقة، ووسيلته الأولى إلى ذلك تسجيل ما يريد لغوياً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- مشاركة اللغة في التسجيل عبر الصور والرسوم والفخار والمعادن وغيرها، وهذا كله بدافع إبقاء الذكر الذي يمثل كل ما يفكر فيه الإنسان.

3- لا تكاد توجد أمة لم تقم بدراسة لغتها ووضع القواعد الكفيلة بفهمها وتيسيرها لمتعلميها.

وعلى الرغم من أهمية اللغة إلا أن العلماء القدامى والمحدثين اختلفوا في تعريف اللغة ومعرفة ماهيتها ومن أبرز تلك التعريفات ما يأتي: [3]

1. قال ابن جني في حد اللغة: ((أما حدُّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[4].

وعرفها ابن خلدون بقوله: ((اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني فلابد أن تعبر ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو في اللسان ، وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم))[5].

2. وعرفها المحدثون بأنها نظام صوتي ذو مضامين محدودة تتفق عليه جماعة معينة ويستخدمه أفرادها في التفكير والتعبير والاتصال فيما بينهم.

3. وعرِّفت أيضا بأنها: نظام صوتي يمثل سياقاً اجتماعياً وثقافياً له دلالاته ورموزه، وهو قابل للنمو والتطور، ويخضع في ذلك للظروف التاريخية والحضارية التي يمر بها المجتمع.

ويرى بعضهم أن التعريف الذي قدمه ابن جني متكامل لأنه يشمل عدة جوانب هي: [2]

1- إن اللغة أصوات.

2- إن اللغة تعبير.

3- إنها تعبير يعبر بها كل قوم.

4- إنها تعبير عن أغراض.

وفي تقديري أن معظم هذه التعريفات متشابهة إلي حد ما ولاسيما أنها لا تختلف كثيراً عن تعريف ابن جني ، كما أن كثرة التعريفات ليس فيها ضرر على اللغة بل هي محاولة لاكتشافها وسبر أغوارها. والمتتبع لتاريخ اللغة يتبين له أنها لم تستكمل مقوماتها إلا بمرور مراحل متعاقبة إلى أن تطورت ودخلت من كونها ظاهرة "النمو اللغوي لدى الإنسان" إلى مرحلة القوانين وضوابط اللغة.

وخلاصة القول إن اللغة تمتاز بخصائص متعددة منها: [2]

1. أنها لغة إنسانية خاصة بالإنسان تعبر عن مطالبه وتوصله بالآخرين.

2. هي مكتسبة يكتسبها الفرد من عائلته ومجتمعه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. هي أصوات والأصوات تنتظم في وحدات تحمل كل منها معنى معيناً يصبح مدلولها ومفعوله الخاص بها، فكلما كان الملفوظ واضحاً كان المعنى والمدلول واضحا أيضا.

4. هي عرفية لأن أفراد المجتمع تعاونوا واتفقوا على الألفاظ ودلالاتها.

5. هي متشابهة ، إذ أن اللغات تتشابه في أنها تصدر من جهاز النطق الإنساني، وتشترك مع بعضها البعض بالتركيب والتعقيد والنظام.

6. هي متغيرة إذ تتغير بحسب الظروف والمستجدات التي تتعرض لها في المراحل المختلفة.

7. أنها مرتبطة بالعرف اللغوي، فربط اللفظ المدلول أو المعنى عرف أولاً، ويجب أن يدل على شيء مفهوم لدى الجماعة، وقد يكون للفظ معان متعددة إذا اتفق المجتمع عليها.

وللغة وظائف عديدة أهمها: [3]

1. الوظيفة الاجتماعية للغة: إذ يفهم الناس معنى حديث بعضهم البعض، والى جانب ذلك فهي سلاح مهم من أسلحة مواجهة الكثير من المواقف الحياتية التي تتطلب استخدام اللغة في استماع وتحدث وقراءة وكتابة.

2. الوظيفة النفسية للغة: فبها يتمكن الإنسان من النطق والتعبير الجيد بطلاقة مما يشعره بالطمأنينة والإحساس بالرفعة، ويدفعه ذلك إلى مزيد من الرقي والثقة بنفسه وعدم الخجل أو الاضطراب أو الخوف.

3. الوظيفة الفكرية للغة: فتعني أنها تكشف عن علاقة حميمة بين الفكر واللغة، إذ أن بينهما ارتباطاً عضوياً فالفكر مختزن في عقل الإنسان لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولكي يخرج الإنسان أفكاره إلي حيز الوجود فلابد من قالب يصب فيه تلك الأفكار وضبطها ودقتها فمن الثابت أن عملية التفكير في حد ذاتها لا يمكن أن تكون إلا باستخدام ألفاظ دالة على معانٍ محددة تساعد على إتمامها.

4. الوظيفة الثقافية للغة: إن حضارات الأمم في الواقع تقاس بدرجة ثقافة أفرادها وبمقدار ما لديها من معالم التراث الثقافي والحضاري، والحضارة لا تخرج من كونها مجموعة من القيم والنظم ، وهذه القيم والنظم التي تكون الحضارة يتمسك بها الإنسان إلى درجة الإيمان بها، ومن ثم فان كل مجتمع يحرص على تطور قيمه ونظمه.

5. الوظيفة التربوية للغة: فتعني أن اللغة لا تدرس على أنها هدف مقصود لذاته ، بل هي وسيلة لبلوغ هدف أسمى وأعظم ألا وهو تربية الأجيال وإعدادها إعداداً يتلاءم هو وظروف الحياة وتطورها.

ومن الملاحظ أن تعدد وظائف اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً ليس بتطور الدراسات اللغوية فحسب بل بمجالاته المختلفة وخصوصاً في العلاقات بين الدول والمجتمعات فضلاً عن تحقيق التقارب الدولي عبر أدوات ووسائل الاتصال المختلفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن الأهم من ذلك كله هو الإنسان لأن اللغة في الأساس وقبل كل شيء هي لغة إنسانية وما يدل على ذلك ما تتسم به من سمات أهمها: [3]

1. إن الإنسان يستخدم الجهاز الصوتي للحديث والجهاز السمعي للاستماع إلى اللغة فالإنسان المنتفع باللغة يمتلك مهارتي التكلم والاستماع في آن واحد.
2. اصطلاحية اللغة.
3. لغة الإنسان تعبر عن الأشياء المحسوسة وبإمكانها أيضا أن تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة.
4. الانتقال اللغوي، فاللغة البشرية المستخدمة في مجتمع معين يتوارثها الخلف عن السلف، وتنتقل من بيئة اجتماعية إلى بيئة اجتماعية أخرى.
5. الازدواجية في التنظيم اللغوي، فالأصوات المنفردة لا معنى لها بحد ذاتها إلا عندما تركب بشكل معين فتتولد عنها كلمات يصبح لها معنى اصطلاحي، وإذا اتصلت مع غيرها يصبح بإمكانها تأدية وسائل مختلفة.
6. باستطاعة اللغة الإنسانية أن تشير إلى أشياء بعيدة عن المتكلم زماناً ومكاناً.
7. مقدرة اللغة الإنسانية على الخلق والابتكار أو الإبداع.

وللغة علاقات مع علوم أخرى علاقات لا تؤثر مناهج تلك العلوم على اللغة لان الأمر متعلق بالاستعانة بهذه العلوم في جوانبها المختلفة بهدف كشفها وإبراز دلالاتها العلمية فضلاً عن أن علم اللغة يقوم على اللغة ذاتها التي تقوم دراستها في الأساس على المنهج العلمي والرؤية الموضوعية.

وللغة علاقة مع العلوم الأخرى تتمثل في الآتي: [4]

1. اللغة وعلم النفس: شغلت اللغة منذ فجر التاريخ العلماء والفلاسفة للوقوف على خصائصها وماهيتها فكانت مثار جدل ونقاش فحاول كل منهم أن يقدم ما لديه في سبيل إقناع الآخرين بما يرمي إليه ، وبالتالي تطور الاهتمام باللغة من قبل علماء النفس شيئاً فشيئاً ، حتى بدأ يظهر علم نفس اللغة في منتصف القرن العشرين كعلم مستقل له خصوصيته وسماته التي تميزه عن بقية العلوم.
2. اللغة وعلم الاجتماع: بما أن اللغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية في المجتمع الإنساني ظهر اهتمام علماء الاجتماع باللغة لدراسة العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر هذه العلاقة وأشكالها التي تظهر في تعدد المستويات اللغوية في المجتمع، أو تعدد اللغات واللهجات، ويسجل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، كما يرصد التحول أو الانتقال الاجتماعي من طبقة إلى أخرى وأثر ذلك على الأشكال اللغوية التي يختارها أفراد تلك الطبقة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. اللغة والبيولوجيا: من الطبيعي أن تكون علاقة اللغة بالبيولوجيا أكثر علاقاتها إثارة وأهمية فاللغة تكمن في صلب العملية البيولوجية في صلب نواة الخلية ممثلة في لغة الوراثة، ومن ناحية أخرى تمثل الجوانب البيولوجية للغة مفتاح السر اللغوي من خلال السعي للكشف عن عمل الآليات الفسيولوجية اللغوية من خلال دراسة أجهزة النطق والسمع والجهاز التنفسي.

اللغة العربية

لقد أعطى الإسلام مصطلح العربية ما يضمر كلمة (اللغة) ، العربية التي جاء بها الشعر العربي القديم وأنزل بها القران الكريم ، ومنه نفهم مثلا معنى القول ((تعلَّموا العربية..))[5] ، حيث حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، واتخذ مصطلح العربية معنى جعله مرادفا للنحو على لسان ابن سلام الجمحي[6] : ((وكان أبو الأسود أول من استن العربية وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ووضع قياسها))[7] ، وقد يكون الثعالبي قد عبّر بشكل واضح عن هذا الأمر في وجوب دراسة العربية بقوله : ((من أحب الله ، أحبّ رسوله المصطفى (صلى الله عليه وسلّم) ، ومن أحب الرسول أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ، ومن أحب العربية عني بها ، وثابر عليها وصرف همته إليها))[8].

لقد حبى المولى عز وجل اللغة العربية بوضعية قلما نجدها في اللغات الأخرى فإلى جانب أنها لغة فطرية يتواصل أصحابها بالاكتساب والتعلم فهي لغة كتابه عز وجل والذي حفظه في اللوح المحفوظ إلى يوم الدين، ويتضح ذلك في اختلافها عن تلك اللغات المنتشرة المشهورة كالانجليزية والفرنسية والألمانية وهذا الاختلاف يتجسد في ثلاثة جوانب[9]:

أولها: أن العربية لها امتداد تاريخي ليس لهذه اللغات بمعنى أنها استمرت منذ الأدب الجاهلي حتى الآن دون أن تتعرض لتغير "نوعي" كاللغات الأخرى، ولا يجد العربي المعاصر عناء في الاستجابة لأدب العرب القدماء.

ثانياً: أن هذه اللغة – شاء الناس أم أبوا – ترتبط ارتباطاً عضوياً بالإسلام، يبدأ هذا الارتباط بالقرآن الكريم ثم يمتد في الحديث الشريف، والتفسير، والفقه والتاريخ وغير ذلك من جوانب الحياة الإسلامية، فالإسلام يكون "النواة" الثقافية للعربية الفصيحة، ونحن حين نطلق مصطلح "العربية الفصيحة" إنما نطلقها بهذا المعنى، وهذا من أهم الجوانب التي لابد من حسابها عند النظر في تعليمها.

ثالثها: أن هذه العربية الفصيحة لها تراث هائل في الدرس اللغوي لا نعرف له مثيلاً أيضا في اللغات الأخرى، فمنذ القرن الثاني الهجري والعلماء يتلاحقون واحداً في إثر واحد يدرسون جانباً من العربية، في الأصوات، وفي الصرف، وفي النحو، وفي المعجم ، فتكون لدينا هذا التراث الضخم في وصف العربية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أثر الإعلام في اكتساب المهارات اللغوية وتطويرها

يجمع علماء اللغة وفقهاؤها على حقيقة لا شك فيها قط، وهي أن اللغة، من حيث هي لغة، كائن حي، يخضع لقانون النمو ولسنة التطور. إنّ التطوّر أصلٌ أصيلٌ في حياة اللغة بما هي كائن اجتماعي، وأساس التطور هو الوجود البسيط أولاً، ثم النماء المترقي ثانياً، وخلال هذا الانتقال يتكون الكائن مترقياً، ويتغير تغيرات مندرجة[10].

ولم تعرف اللغة العربية عبر تاريخها الطويل ما تعرفه اليوم من سرعة في النموّ، واندفاع في التطوّر ومسايرة المتغيرات، بحكم عوامل كثيرة ونتيجة لأسباب متعددة، لعلَّ أقواها تأثيراً، النفوذ الواسع الذي تمتلكه وتمارسه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والذي يبلغ الدرجة العليا من التأثير على المجتمع، في قيمه ومبادئه، وفي نظمه وسلوكياته، وفي ثقافته ولغته، وعلى النحو الذي يفقد بعض المجتمعات هويتها الحضارية، وينال من خصوصياتها الثقافية، وفي المقدمة منها الخصوصية اللغوية.

إن تزايد نفوذ الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، يشكل عاملاً مساعداً لذيوع اللغة العربية وسعة انتشارها ووصولها إلى آفاق بعيدة، تتخطى رقعة الوطن العربي إلى العالم الإسلامي، وإلى مناطق شتى من العالم، خصوصاً وأن الإعلام المرئي يلعب دوراً بالغ التأثير في تبليغ الرسالة الإعلامية إلى العالم أجمع. وبذلك اتسعت الساحة أمام الضاد على نحو لا عهد لها به من قبل. وفي هذا الامتداد للغة العربية تجديدٌ لها، على نحو من الأنحاء، وتبديدٌ للوهم الذي ساد في فترات سابقة، بأن الضاد لم يعد لها مكان في هذا العصر.

إن لغة الإعلام في عصر العولمة لا تستقر على حال، فهي في تطور مطرد، لا يكون دائماً في خدمة اللغة. ولكنا لا نملك أن نعزل أنفسنا عن تيار العولمة، أو ننأى بلغتنا عن (الإعلام العولمي). ومهما كان حكمنا على العولمة، ومهما يكن رأينا فيها، فإنها تتيح فرصاً كثيرة لكل من يرغب في تطوير لغته، حيث تقدم الصحون اللاقطة والأنترنيت والبريد الإلكتروني والحاسوب، كل ما يستلزم من عمليات الإحصاء والترتيب والتخزين والاسترجاع والتصحيح، والمستقبل مفتوح لما لا يخطر على البال.

إن وسائل الإعلام مرئيةً ومسموعة ومقروءة تغزو كل بيت، فتصل إلى الصغير والكبير، ويتأثر بها كل إنسان شاء أو أبى، طوعًا وكرهًا، وهي بلا شك تشتمل على الصالح والطالح، والنافع والضار، والمصلح والمفسد، فإن نحن أحسنَّا توجيهها في خدمة موضوع الفصاح واكتسابها، كان لها الأثر الكبير في ذلك.

ولقد أثبت البرنامج التلفازي المشهور في الثمانينيات من القرن المنصرم (افتح يا سمسم) صدق هذه المقولة، إذ كان له الأثر الناجع في لسان الأطفال، فالتفوا حوله على اختلاف لهجاتهم وأقطارهم ومنازعهم ومشاربهم ليفهموا أوَّلاً كل كلمة فيه لأنه استعمل العربية الفصيحة المألوفة المأنوسة، وليحاكوا ثانيًا أسلوبه في استعمال هذه اللغة، مما مهد لظهور الكثير من أفلام الأطفال المتحدثة بالعربية، وهو أمر دفع إليه رغبةُ المنتج في بيع هذه الأفلام وتسويقها في كل أرجاء الوطن العربي الكبير، فكانت العربية خير ملاذٍ يلجأ إليه، إذ بها يستطيع أن يدخل كل بيت عربي على امتداد الوطن العربية الكبير، فإذا كان الدافع الرغبة في الربح والتجارة فلِمَ لا يكون أيضًا الرغبة في نشر العربية السليمة في كل صقع عربي؟ بل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم لا يجتمع الأمران فنخضع هذه البرامج لرقابة لغوية تنفي عنها آثار الركاكة والخطأ الشائع واللحن وما إلى ذلك مما يضير بالفصاحة، وتكسوها ثوبًا قشيبًا من الفصاحة والبلاغة والبيان.

إن قسماً كبيراً من مشاكل اللغة العربية يعود إلى أسباب ذاتية، ونقصد بها ضعف همة أبناء الضاد وقصورهم في القيام بواجبهم تجاه لغتهم التي هي لسان دينهم وعنوان هويتهم الثقافية ورمز سيادتهم الحضارية، وتفريطهم في مسؤوليتهم التاريخية في الحفاظ على تراثهم وحماية وجودهم المعنوي.

إن محنة العربية لا تتمثل في حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة من عالم الحضارة المعاصرة، إلى عالمها الذي يبدو متخلفاً، ليس ذلك فحسب، بل إن محنتها الحقيقية هي في انهزام أبنائها نفسياً أمام الزحف اللغوي الداهم، واستسلامهم في مجال العلوم للغات الأجنبية، بحيث قد تكونت في العالم العربي جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلوم والتكنولوجيا، فما دامت صفوة المشتغلين بالعلوم تعرف الانجليزية أو الفرنسية مثلاً، فلا بأس من عزل العربية، بل وقتلها. هذا مع أن هناك شبه إجماع على ثلاثة أمور تشكّل اقتناعاً مشتركاً بين جميع من يُعنى بحاضر اللغة العربية ومستقبلها، ويهتم بمعالجة مشكلاتها، وهي :

. الأول : أن العربية قادرة على استيعاب العلوم، ولا يمكن لأي مجتمع أن ينهض ويتحضر إلا من خلال لغته، ومن ثم لن ينهض العرب إلاَّ بواسطة العربية.

. الثاني : أن معرفة أكثر المشتغلين بالعلوم للغة الإنجليزية لا ترقى إلى مستوى معرفة أهلها أنفسهم، فهم يستخدمون لغة لا يتقنونها إتقاناً كاملاً، ويهملون لغتهم التي يمكن أن يحققوا بها مستوى أداء أفضل، فيزدادون ضعفاً على ضعف.

. والثالث : أن مستوى الطلاب في الكليات العلمية لما يتلقونه بالإنجليزية أو الفرنسية ضعيف، وهو أضعف قطعاً مما لو تلقوا موادهم بالعربية على أيدي أساتذة يحسنونها[11].

ويمكن لنا أن نقول، في ضوء هذا كله، إن العيب في أبناء اللغة وليس في اللغة، وإن اكتساب المهارات اللغوية وتطويرها مرهونة بالجهد الذي نبذله نحن في الواقع وبين الناس، لا في القراطيس، وإن الآثار الإيجابية للعلاقة بين اللغة والإعلام، لا يكون لها نفع أو جدوى أو فائدة، ما لم نقم، كل في موقعه ومجال تخصصه، بما يجب أن نقوم به، من العمل المدروس والممنهج للحفاظ على صحة اللغة وسلامتها، ولتحقيق المزيد من التنمية اللغوية مستغلين الإمكانات الفنية والتقانية الهائلة التي تتاح لنا اليوم، لتعزيز مكانة لغتنا بالعلم والعمل وتضافر الجهود ووضع الضوابط والتشريعات التي تحول دون انفلات اللغة وتراجعها عن أداء دورها في البناء الحضاري والنماء الاجتماعي.

واقع اللغة العربية المؤسف في وسائل الإعلام

إن الذي ينعم النظر في لغة الإعلام يجدها لغة مهلهلة ضعيفة ، قد ابتعدت كثيرا عن لغتنا الفصحى الجليلة التي نزل بها أعظم كتاب سماوي ، والضعف اللغوي في الإعلام العربي يرجع إلى عدم الاعتزاز باللغة الفصحى وهذا العامل له أثر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كبير في جانب الاستعداد النفسي تجاه العربية ؛ لأنه كلما قوي هذا الاعتزاز ؛ كان مؤثّرًا في فاعلية الاستعداد نحو العربية واحتذائها، والعكس صحيح .

والجميع يدرك أن إضعاف الاعتزاز مرّ بخطوات عدة ، خطّط له أعداء الأمة ، وحمل لواءها بعض المتغربين ؛ كاتهام الإعراب بالصعوبة ، وأنه يقف عقبة في تشويش التفكير ، والحلّ اللجوء إلى التسكين . وكذلك محاولات تقعيد العاميات العربية ، وافتتاح أقسام للأدب الشعبي في بعض الجامعات العربية ، وهذه وإن لقيت رواجًا في فترة زمنية معينة إلا أنها لم تلق قبولاً مستمرًّا فماتت في مهدها . بالإضافة إلى الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية . وأخيرًا خطوة تعليم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية ، وأعتقد أن هذا سيكون له أثر سلبي في عقليّات المتعلمين ؛ لأن الأمر على حساب ساعات ومقررات اللغة العربية .

يضاف إلى ما سبق ما يرتبط بموضوع تعليم العلوم باللغات الأجنبية ، وما يترتب عليه من آثار واضحة في ضعف الاعتزاز باللغة العربية ؛ لأن عدم التعليم بها رسالة تؤدي مفهوم عدم قدرتها على مواكبة العصر وتقدمه ، وهذا مما يعمق الانهزامية أمام اللغة الأجنبية ، ولذلك يشاع بأن اللغة العربية غير جديرة بحمل العلوم الحديثة ، وأنها عائق أمام تقدم الأمة العربية ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعلم اللغة الأجنبية ، وغاب عن أذهانهم أن الأمم لا تتقدم إلا بلغتها ، والتاريخ القديم والحديث يشهدان على ذلك .

ويمكن التأكيد على أننا بحاجة ماسّة إلى تعزيز مبدأ الاعتزاز بالعربية لدى الإعلاميين والمتخصصين في العلوم المختلفة ؛ حتى يحرصوا عليها ، ومن ثم يكونوا سفراء ووسطاء بين لغة تلك العلوم والعربية عن طريق نقل المعارف والمعلومات إلى الأمة العربية بوساطة الترجمة والتعريب ، وذلك من باب تنظيم العلاقة بين اللغتين .

والخطوات السابقة ترمي إلى هدف واحد هو إبعاد الأمة عن دينها الذي لا يتم إلا عن طريق القرآن الكريم المنطوق والمكتوب (باللغة العربية) ؛ وبالتالي فإن القرآن يقرأ بالعربية ، وأحد أركان العربية (النحو العربي) ، وأسّ النحو (الإعراب) ؛ لذا وجهت السهام إلى (الإعراب) ؛ حتى أصبح عقبة كئودًا أمام المتكلمين .

وتجدر الإشارة هنا إلى الأثر غير المباشر الذي أحدثه الإعلام العربي بصوره المختلفة ، المتمثل في أنه تبنى وأشاع لغات ولهجات عامية شعبية ، احتلت مكان الصدارة فيه ، ترتّب عنها إقصاء العربية في نفوس النشء والجيل عمومًا ، من خلال العامل النفسي والموقف السلبي الذي ضرب بأطنابه ، وقطن في صدورهم تجاه عربيتنا المظلومة .

ولذلك نجد ما يسمى بالأدب الشعبي أو اللهجات العاميّة تحتل مكان الصدارة والذيوع ، فهو في طيه يحمل رسالة ضد العربية الفصحى ، بل إن تلك الكتب التي تحدث صراعًا بين الجيل والتراث يكون لها صيت في الصفحات الإعلامية ، وتحتل مكانة مرموقة فيه ، وتتبناها دور النشر ؛ لأنها تفكر في الشهرة الخاصة على حساب واقع أمة ، ولو حطمت آمال الاعتزاز بعربيتها .

وقل ذلك في المجلات الشعبية الكثيرة التي انتشرت ووجدت قابلية في مقابل تلك المجلات القليلة التي تكتب بلغة عربية سليمة ؛ مما يدل على انحطاط الذوق الفني لدى كثير من القراء ؛ لأن الفصحى لو عرفنا قدرها حق المعرفة لما ترددنا في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نشرها وتعقبها ؛ لأنها – وبدون مبالغة – من أغنى اللغات العالمية بالذوق ؛ لتميزها بخصائص تكسبها ذلك قد لا توجد كلها في بعض اللغات الأجنبية .

وينبغي ألا نغفل وننسى ما أحدثه هذا الإعلام من ازدواجيّة لدى المجتمع العربي المتعلم ؛ إذ التعليم بمقرّراته ومفرداته يكتب باللغة العربية الفصحى ، فيتعلم في المدرسة ذلك غالبًا ، ثم يخرج فيتلقّفه الإعلام ؛ ليقرأ ويسمع إلى لغة بعيدة عمّا تعلّمه ، وهذا بلا شك يعزز انفصام الشخصية اللغوية العربية ؛ لأنه يقوي مبدأ الازدواجيّة السلبي .

ويمكننا هنا حصر المساوئ الإعلامية وما تركته من آثار سلبية تجاه اللغة العربية الفصيحة بما يأتي:

أولا– شيوع الأخطاء النحوية واللغوية في العربية الفصحى المستخدمة ، لعل الناظر لواقع وسائل الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي يجد كثرة الأخطاء اللغوية في الممارسة المهنية ويمكن ملاحظة إذ لا يكاد أحد ينجو من الوقوع في أخطاء لغوية ولا سيما المذيعون ومقدمو البرامج إذ ربما لا تتاح لهم فرصة لمراجعة النشرات قبل إذاعتها، فتجدهم كثيري اللحن والزلل في قواعد النحو العربي ، فضلا عن كثرة الأخطاء اللغوية في التراكيب والأساليب العربية ، ((وهم بذلك يجعلون الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كلّه سواء وكلّه بيانا))[12] وقد أحصيت بعض النماذج ، أذكر منها ما يأتي:

1- جاء نفس الرجل ، ورأيتُ ذات المرأة ، فقد استُعمِل لفظا "نفس" و "ذات" للتوكيد في غير سياقهما الفصيح الصحيح، ذاك أن لفظ التوكيد المعنوي: ((جميع- نفس- عين- كل.. الخ)) ينبغي أن يرد بعد الاسم المراد توكيده أولاً.

ويشترط ثانياً لإقامة التوكيد بهذه الألفاظ أن تضاف إلى ضمير يعود على المؤَكَّد ويناسبه ، فيقال: (جاء الرجل نفسه) و(رأيتُ المرأة ذاتها).

2- استعمال "لام" الاختصاص والملك في غير موضعها يؤدي إلى ركاكة وضعف في تركيب الجملة اللغوي. وقد كثر ذلك في السنوات الأخيرة، حتى بات نتيجة التكرار والتواتر، وكأنه صواب.

يقال مثلاً: "الجنة للمؤمنين" على سبيل الاختصاص. ويقال أيضاً: "له ما في السموات وما في الأرض" على سبيل الملك، ونغلط حين نقول: (في السن المبكرة للطفل) فالأفصح أن نقول: (في سن الطفل المبكرة) فلفظ (المبكرة) هو صفة لكلمة (سن) ويجانبون الصواب عندما يقولون في نشرات الأخبار: (جرى ذلك إثر قتل الجنود الإسرائيليين لاثنين من الفلسطينيين) وكان يجب أن يقال: (... اثنين من الفلسطينيين) لأن كلمة(اثنين) هي معمول المصدر المضاف الذي يعمل عمل الفعل المبني للمعلوم، فهي إذاً (مفعول به) .

ويقولون أيضاً: (يحمِّلون اللون للجانب الفلسطيني) وهكذا أُلغي معمولا فعل (يحمّلون) الذي ينصب مفعولين فالصواب قولهم (يحمّلون اللوم الجانب الفلسطيني). أو (يحمِّلون الجانب الفلسطيني اللومَ) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- الفعل المضارع المرفوع والفعل المضارع المنصوب يصبحان مجزومين، الرئيسُ يسافرْ غدا ولن يحضرْ...، ونحو القول : لماذا لا تقرأ القرآنَ جيدا؟ بتسكين (تقرأ) فإنه اضطرّ إلى إضافة كسرة منعا لالتقاء الساكنين, فبدا الفعل مجزوما.

4- حذف التنوين الدالّ على النصب والألف التي تحلّ محلّه عند الوقف: ليس صحيحْ, كان هذا واضحْ, ستعطيه اهتمامْ كبيرْ.

5- انتهاء الكلمة الساكنة بفتحة توهم بأنّ ذلك خطأ في حركة الإعراب, وهي في الواقع ليست سوى فتحة أداة التعريف في الكلمة التالية: قال رئيسَ الوفد (رئيسْ اَلوفد). وقد تكون هذه الفتحة مضافة منعا لالتقاء الساكنين عند أصحاب اللهجات التي تلجأ إلى الفتحة في تطبيق هذه القاعدة الصوتية.

6- شاعت في الإعلام العربي بمختلف صوره بعض الأساليب اللغوية الخاطئة ، والألفاظ غير الصحيحة ، ونذكر بعضاً منها :

- (لا يلقى أُذنا صاغية) والصواب مُصْغِية. فعل صغا الثلاثي المجرد يعني مال إلى. وفي القرآن الكريم : ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغَتْ قُلوبُكما﴾[13] أي مالت القلوب برضاها ، كما جاء بصيغة صَغِيَ يَصْغَى في قوله تعالى : ﴿ولِتَصْغَى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾[14].

أما في معنى الاستماع فيُستعمَل الرباعي : أَصْغَى يُصْغِي إصغاءً. واسم الفاعل المذكر (مُصْغٍ) والمؤنث مُصْغِية (أذُن مُصْغِية) ، وأصغى لا يعني مجرد الاستماع، ولكن حسن الاستماع والاهتمام بما يُسمَع. وجاء في بعض المعاجم العربية الحديثة تعبير : "كلنا آذان صاغية". وذلك تَبَنٍّ لخطأ شائع.

- ومما شاع من الألفاظ خطأ في الاستعمال الإعلامي لفظ (مبروك) للتهنئة والمباركة في الأفراح والمسرات ، وهذا اللفظ هو اسم مفعول من الفعل المبني للمجهول (بُرِكَ) ، والبروك هو هيأة الجلسة التي يجلسها البعير ، فإذا جلس البعير قيل (برك البعير) ، وإذا قيل لأحدهم : مبروك عليك ، كان المعنى جُلس عليك كما يجلس البعير ، واللفظ الصحيح هو (مبارك) وهو اسم مفعول من الفعل الرباعي المبني للمجهول (بورك) ، وفعله (بارك) ، قال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[15].

- ومن ألفاظ الإعلام المتداولة بصورة واضحة لفظة (استعمر) ، والمصدر منها (الاستعمار) ، وهو لفظ يطلق غالباً في الاستعمالات الشائعة على كلِّ مَن يقوم باحتلال بلدٍ ما والسيطرة على ثرواته وممتلكاته، غير أنَّ الدلالة اللغوية لهذا المصطلح تخالف الاستعمال الشائع الخاطئ لهذه اللفظة، وقد وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُجِيبٌ﴾[16].قال الطبري: ((واستعمركم فيها : جعلكم عمَّاراً فيها ، فكان المعنى فيه أسكنكم فيها أيام حياتكم))[17] ، ومعنى ذلك أنَّكم تعمرون الأرض من خلال سكنكم فيها ، فالسكن دلالة على العمارة.

فالاستعمار لفظ يراد به العمران لا الخراب والدمار، كما يفعل المحتلون عندما يغزون بلداً ما ، وهو لفظ شائع في الأوساط الإعلاميّة خطأً ، لأنّهُ يستعمل في المفهوم المضاد لما هو عليه , ولا يوجد دليل على أنَّ هذه اللفظة من المتضادات حتى نقطع بصحة استعمالها ، وينبغي أن تطلق هذه اللفظة على أهل البلد الذين يقومون بعمارة البلد واستعمارها والحفاظ عليها وعلى ثرواتها ، أما الغزاة المحتلون فإذا كان ولا بد أن نطلق عليهم (الاستفعال) ،فمن المناسب أن نسمي غزوهم الاستحلال أو الاستهدام أو الاستخراب ، واللـه تعالى اعلم .

ثانياً – شيوع الكتابة بالعامية في المقالات والإعلانات، وفي تقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية ، وهذا من أعظم ما جناه الإعلام على الفصحى، لأنّه في شيوع الألفاظ والأساليب العامية في مصادر الإعلام تكريس لها في أوساط المجتمع من جهة، وقبر للفظ الفصيح من جهة أخرى. وحجّة المحررين في استخدام العامية أنّهم يطلبون الأسهل والأقرب لفهم القرّاء، لكن ليت الأمر اقتصر على هذه المصطلحات! بل إنه تعدّاه إلى كتابة مقالات كاملة باللهجة العامية، وتُذيّل هذه المقالات بأسماء كبار الكتاب والأدباء في العالم العربي!

ثم استحدثت بعض الصحف صفحات كاملة يومية لنشر القصائد العامية، وتمجيد شعراء العامية، حتى صار أدب العامية أقرب طريق للوصول إلى الشهرة وعلو الكعب! بعد ذلك تحوّلت هذه الصفحات إلى مجلاّت (للأدب) الشعبي، تهتمّ بالدراسات الشعبية، وتهلّل لكلّ قصيدة عامية، وتملأ هذه المجلات أرفف المكتبات، ويتهافت الناس على شرائها، بينما يقبع بعض أدباء الفصحى في ركن مظلم، لا يُلتفت إليهم، فقلّةٌ هي الصحف التي تحوي صفحات مخصصة للأدب الفصيح، وفي مقابل عشرات المجلات الشعبية، لا نجد إلا بضع مجلات تهتم بأدب الفصحى وشعرائها، ناهيك عن جودة طباعة الأولى وسعة انتشارها.

لقد شنّ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى في القرن الماضي حملة شعواء على الصحافة، ورأى أنّ ((أكثر ما تنشره الصحف من الشعر هو... صناعة احتطاب من الكلام، وقد بطل التعب إلا تعب التقشُّش والحمل، فلم تعد هناك صناعة نفيسة في وشي الكلام، ولا طبع موسيقي في نظم اللغة، ولا طريقة فكرية في سبك المعاني)) [18].

إننا نظلم الإعلام ونتجنى على الحقيقة إذا ركزنا على تراجع اللغة العربية الفصحى في نطاقه وحده. إنَّ الإعلام هو المرآة العاكسة لمختلف تفاعلات المجتمع وتحولاته، أعني أنه يبرز الظاهرة ولا ينشئها. ذلك أن تراجع الفصحى ليس مقصورا على الإعلام وحده، ولكنه يمثل ظاهرة عامة في المجتمع، فالعامية أصبحت تستخدم في السياسة والفن وواجهات المحلات، وفي مختلف نواحي الحياة. وإذا كانت بعض المجلات العربية تحمل أسماء أجنبية مثل (فلاش) و(سوبر ستار)، وإذا كانت بعض برامج التلفزيون تمضي على ذات الطريق فنسمع عن برنامج باسم (خلي انبوكة) وآخر عنوانه (حيلهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينهم) وثالث بعنوان (ستار ازغار)..الخ، فذلك حاصل أيضا في المجالات الأخرى كافة. وفي واجهات المحلات التجارية وأسماء المقاهي وأسماء الأفلام والمسرحيات، وغير ذلك من أنشطة الثقافة والسياسة والاقتصاد.

ثالثاً ــ كثرة استخدام المفردات الأعجمية في ثنايا الخطاب الموجه إلى الملتقى العربي، وفي بعض الأحيان تنشر الصحف العربية إعلانات كاملة باللغات الأجنبية ، بل إن هناك مجلات عربية وبرامج إذاعية وتليفزيونية تحمل أسماء وعناوين أعجمية، مكتوبة بالأحرف العربية.وذلك من الأخطار الحقيقية التي تهدد لغتنا العربية، و لا ريب أن وسائل الإعلام لم تعد تكترث باللغة التي يظهر بها الإعلان أو البرامج وغيرها ، لأن كل اهتمامها منصب على مدخولها وحصيلتها! لكن مايستلفت النظر في هذا الصدد أن بعض الكتاب أصبحوا يطعّمون كتاباتهم بعبارات أعجمية ، وهناك آخرون يتزايد عددهم، ينشرون نصوصا كاملة بالعامية والمفردات الأعجمية.

إنَّ الأمة الإسلامية والعربية تواجه خطورة في عصر العولمة تهدد جميع أركان الهوية : (الدين ، اللغة ، الثقافة ، الجوانب الاجتماعية ...) . وهذه الخطورة بعواملها المختلفة المتعددة قد تكون مفروضة لا خيار لنا فيها ، وبعضها قد تكون بأيدينا ، كما هو الحاصل في استعمال المفردات الأعجمية ؛ إذ هو أحد الأبواب التي تؤثر في الهوية ؛ فعن طريقه تتسرب إلى عقلية العربي الجوانب الثقافية والاجتماعية وغيرهما الأجنبية ؛ من خلال العناية بمحتوى اللغة الأجنبية – وبالذات في ظل الانهزامية التي يعيشها كثير من أفراد الأمة ؛ بسبب عوامل كثيرة ، منها : النظرة العالية إلى الثقافية الأجنبية في مقابل النظرة الدونية للعربية وتراثها بل وأهلها – فتظهر بوادر التقمص بالشخصية الأجنبية (لغة وسلوكًا ومظهرًا) ؛ كتضمين كلامه كلمات من اللغة الأجنبية على سبيل التعالي ولفت الأنظار ، على الرغم من أن الموقف اللغوي يتطلب لغة عربية، وربّما كان المخاطب – أحيانًا – يجهل أبجديات اللغة الأجنبية .

إن التأثّر بالأجنبي في عصر العولمة ليس سبباً محصورًا في استعمال المفردات الأجنبية أو الأعجمية أو الدخيلة على لغتنا ؛ بل هو ناتج من تعدد قنوات الاطلاع على الثقافة الأجنبية ومجتمعه التي أثّرت في الأفراد حتى وإن لم يكن يعرف اللغة ، فنجده يستمع إلى الأغنيات الأجنبية وهو لا يعرفها ، ويتّبع سلوكيات ومظاهر أجنبية من باب التقليد الناجم عن الاطلاع على وسائل الإعلام المختلفة ، وهنا ينبغي إعداد هؤلاء الإعلاميين إعدادًا متوازنًا في تعاملهم مع اللغات الأخرى ؛ بحيث يحملون رسالة تكون متماشية مع الهوية العربية ، وبالتالي سيكون لهم أثر في أفراد المجتمع العربي بأجمعه.

لغة الإعلام والعولمة

الإعلام سلاح ذو حدين ،فإذا كان بالمستوى المطلوب لغة وأداء ، أصبح مدرسة لتعليم اللغة ، وهذا يعني أن وسائل الإعلام قادرة على تربية الملكات اللغوية ورعايتها وتنميتها مما ينعكس إيجابا على الإعلام نفسه ، أما إذا تردى الإعلام إلى مستوى من الإسفاف،فإن ذلك نذير شؤم على تحوله إلى مستنقع آسن،يوشك أن يطال المجتمع بأسره ولاتسلم اللغة من عواقبه المؤذية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الطبيعي أن يؤدي هجر اللغة إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه[19].إن قتل الفكر جريمة أشد من قتل الجسد،إنّه يرد الإنسان مجرد كائن حيواني دون هوية،إن الشعوب تنهار إن لم تكن محصنة من داخلها لا من حولها.

ولمواجهة عصر الكوكبية والتفجر المعرفي المتنامي لثورة الاتصالات والمواصلات ، والسماء المفتوحة ، كان لابد من الرجوع إلى اللغة العربية بوصفها بوتقة الانصهار العربي والوجداني والفكري لأمة عربية واحدة.اللغة العربية هي التي تصنع وحدة الفكر والعقل[20].واستعمال الفصحى لغة للإعلام ليس مطلبا عسير المنال،فلغة الإعلام هي الفصحى السهلة المبسطة في مستواها العملي...والمرونة والعمق، وهي الخصائص التي تجعلها تنبض بالحياة والترجمة الأمينة للمعاني والأفكار، والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة، التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع[21].

وعلى الرغم من غنى اللغة العربية وقدرتها الدائمة على استيعاب مختلف التطورات، وقابليتها المستمرة للتجديد والتكيف مع التطورات، فإن دعاة وأحبار العولمة مافتئوا يروجون لاغتيال اللغات القومية،مشككين في جدوى قدرتها على الحيلة في عصر الكوكبة، ولاشك أن هذه النظرة على مايطبعها من تحيز تقوم على "عنصرية واضحة تتهم فيها اللغات العريقة بالمحدودية والفقر...وترتكز هذه النظرة الدونية للغات الأخرى على وهن طبيعة اللغة العربية مثالا، وضعف قابليتها للتكنجة اللغوية والأدبية والثقافية...وعندما ننظر في بعض المسائل الدالة ندرك تهم هذه الفرضية مثل علاقة اللغة بالفكر،فاللغة العربية لغة الوحي والتقليد الثقافي العربي برمته، على أن عناصر الثبات فيها ليست عقبة أمام عناصر التغير الطارئة أو الوافدة،وبالقدر الذي نخدم فيه لغتنا، فإنها قابلة لخدمة تطور المعرفة وتكنجة الأدب والمعلومات[22].

خاتمة

إنّ المطلوب من وسائلنا الإعلامية كثير وكبير، لكن لن يجدي الكلام إن لم يدرك القائمون على هذه الوسائل عظم الجرم الذي يقعون فيه، فإنّ إدراك الخطأ هو أهمّ خطوات الإصلاح، بعد ذلك علينا أن نردّ السهام في نحر العامية، فنحارب غزوها للصحف والمجلات والقنوات، ثم تجريم كل من يتحدّث أو يكتب بها في أي وسيلة إعلامية كانت، ثم إلزام الإعلام برفض الإعلانات التجارية المصاغة بالعامية أو بلغة أجنبية، وعدم بثّها أو نشرها حتى تحوّل إلى الفصحى، وتحقيق هذين الأمرين يحتاج إلى جهود القائمين على وزارات الإعلام في البلاد العربية، بعد أن يتكامل وعيهم بعظم الخطر المحدق بالعربية، وأهمية صرف بعض الجهود (الجبارة) التي يبذلونها في تنقية وسائلهم من كلّ شائبة سياسية! في تنقية العربية كذلك من كل شائبة تحطّ من قدرها!

وهنا نذكر جملة من الحلول والمقترحات التي يجب أن تأخذ دورها في الوسط الإعلامي في عصر تزاحم الحضارات والصراعات اللغوية من أجل إثبات الهوية ، فهذه بعض الحلول الناجعة التي تعيد للغتنا مكانتها العالية وتجعلها في مقدمة اللغات :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- إخضاع المذيعين والمراسلين لامتحانات لغوية صارمة قبل تعيينهم, على أن تشمل هذه الامتحانات النحو والصرف وقراءة النصوص غير المشكولة وضبط نصوص بالشكل التامّ في وقت محدّد. ويجب أن تشمل كذلك المهارات الأربع المعروفة: فهم المقروء وفهم المسموع والتحدّث (دون إعداد) بطلاقة خالية من الأخطاء وكتابة موضوع غير معدّ مضبوط بالشكل التامّ. وجدير بالذكر أنّ بعض المذيعين الناجحين في قراءة نشرة مُعَدّة كانوا يفشلون فشلا ذريعا عندما يحاورون ضيفا دون إعداد. كانوا يرتكبون في هذه الحالة من الأخطاء اللغوية ما لا يرتكبه طلاب المرحلة الإعدادية, أو يرتدّون إلى العامية, ناهيك عن التأتأة والتلعثم والتوقّف بعد كلّ كلمة, وغير ذلك من سمات عدم الطلاقة.

2- ضرورة وجود دائرة من المراجعين المدققين اللغويين ذوي الأهلية، يتابعون نشرات الأخبار والبرامج والأعمال المترجمة، من أجل تصويب ما يرد فيها من أغلاط ولفت أنظار المسؤولين عنها مباشرة، عن طريق الاتصال بهم شفهياً وكتابياً. وتمكن استشارتهم في أثناء إعداد نشرات الأخبار.

3- يجب تقديم دروس تقوية، حضورها إلزامي، في مسائل اللغة العربية ونحوها وصرفها، يشارك في الاستماع إليها العاملون الرئيسيون في كل ما يتصل باللغة العربية، في الإذاعة والتلفزيون... من مذيعين ومقدمي برامج ومترجمي الأفلام والمسلسلات والبرامج الأجنبية.

4- إنتاج المصطلحات العربية وترويجها إعلاميا والمتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب وتوظيف جديدها إعلاميا حتى تجد هذه المفاهيم طريقها للذيوع الجماهيري ، وتكون اللغة العربية أكثر مواكبة للتطور المعرفي والتقني للحضارة المعاصرة ، ونعفي المستعملين والناطقين بالعربية من توظيف الألفاظ الأجنبية أو الأعجمية للتعبير عن هذه المنتجات الحديثة.

5- استثمار الثورة الإعلامية،ومن خلالها موجة البث الفضائي العربي في تعزيز الوحدة العربية الإسلامية والعمل على إعادة الانسجام للنسيج اللغوي، وتجنب الدعوات الرامية إلى توسيع هوة الخلاف العربي من خلال تمزيق النسيج اللغوي إلى مجموعة من اللهجات المتنافرة التي تبث الفرقة أكثر مما تجمع الشمل العربي.

6- تدريس مادة في الجامعة, إلزامية لطلبة قسمي اللغة العربية والإعلام واختيارية لغيرهم تتناول الأخطاء الشائعة نظريا وتطبيقيا. فالأخطاء الشائعة تلخّص بدقّة ما فشلت المدرسة والجامعة في تدريسه. ولهذا فالتركيز عليها قد يُصلح بعض ما أفسده الدهر!

7- التأكيد على أن اللغة العربية من الثوابت العربية و الإسلامية، لذا يجب الدفع باللغة العربية لتكون في مصاف اللغات الدولية وأن تحتل مرتبة متقدمة.

8- ضرورة التنسيق بين وزراء الإعلام والثقافة المسلمين وتفعيل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الإسلامية في هذا الصدد.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

9- ولا ننسى أهمية مخاطبة الطفل، وغرس محبة لغته والحفاظ عليها في نفسه منذ نعومة أظفاره، ويتحقق هذا بتقديم برامج تعليمية تراعي سن الطفل وميوله وقدراته العقلية، كذلك بتعديل المناهج التي تمثل الثغر الأول الذي ينفذ منه بغض العربية إلى نفس الطفل.

10- إصدار نشرة بأهم الأغلاط الملحوظة، مع تصويبها.. وتعميمها على العاملين الرئيسيين في الإذاعة والتلفزيون والإعلاميين بمختلف اختصاصاتهم.

ليس معنى كل ما سبق أنه لا بد أن يكون كلّ أفراد المجتمع بلغاء فصحاء، فهذا ممّا لا قبل لأيّ مجتمع به، لكن الواجب أن يلمّ كلّ منا بأهمّ القواعد الضرورية، التي تمكّنه من الحديث والكتابة بلغة سليمة من الأخطاء الفاحشة، والهفوات الشنيعة، التي لا عذر لأحد في الوقوع بها. كذلك فإنّ اللغة تعدّ من أهمّ خصائص وسمات أيّ أمّة، وهي كذلك صمّام أمان بالنسبة لها، فإن انهارت دعائم اللغة فاقرأ على الأمّة السلام! لأن اللغة كما يقول الرافعي رحمه الله تعالى: ((هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها)) فإن تحول الشعب عن لغته فإنما هو ((التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب أمته، انقطع من نسب ماضيه))[23].

والحمد لله رب العالمين

التهميش:

---

(1) معجم مقاييس اللغة، (علم) :109/4.

(2) أساس البلاغة، (علم) :434.

(3) لسان العرب، (علم) : 416/12.

(4) أظن أنَّ مساواة العلم بالمعرفة أمر فيه نظر ؛ لأنَّ المعرفة والدراية لا تأتي إلَّا بعد جهل وذلك لا يُشتَرَطُ في العلم ، ولذلك لم يرد في القرآن الكريم (عرف الله) أو (درى الله) فعلمه سبحانه أزليٌّ لم يأت بعد جهل ، والعلم قد يأتي بالاكتساب من غير سعي لطلبه،كما قال تعالى في حق العبد الصالح: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾الكهف:65.

(5) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : 427/2

(6) الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي : 970.

(1) أصول الإعلام الإسلامي : 14.

(2) المصدر نفسه .

(3) موسوعة الإعلام والصحافة: 7.

(1) اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض بها : 7-8.

(2) المصدر نفسه: 19-20.

(3) اللغة العربية: مناهجها وطرائق تدريسها : 57.

(4) الخصائص : 33/1.

(5) مقدمة ابن خلدون : 546

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(1) اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض

[1] أصول الإعلام الإسلامي : 14.

[2] المصدر نفسه .

[3] موسوعة الإعلام والصحافة: 7.

(1) اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض بها : 7-8.

(2) المصدر نفسه: 19-20.

(3) اللغة العربية: مناهجها وطرائق تدريسها : 57.

(4) الخصائص : 33/1.

(5) مقدمة ابن خلدون : 546

(1) اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض بها :24.

(2) اللغة العربية: مناهجها وطرائق تدريسها : 58.

(3) المصدر نفسه :58 -59

(1) أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق : 24-25.

(1) أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق : 39-41

(2) نقل هذا القول عن الخليفة عمر بن الخطاب ، طبقات النحويين واللغويين : 13 .

(3) أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي ، من أهل البصرة وكان من أئمة اللغة والأدب ، ينظر الأعلام للزركلي:146/6.

(1) طبقات فحول الشعراء :15/1.

(2) فقه اللغة وسر العربية : 6-7.

(3) علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية : 86-87.

(1) مشكلات حياتنا اللغوية : 46 .

(1) العربية لغة العلوم والتقنية : 366 .

(1) وحي القلم : 3/ 374 .

(1) التحريم : 4.

(2) الأنعام : 113.

(1) الأنعام : 155.

(2) هود:61.

(3) تفسير الطبري: 368/15.

(1) ينظر وحي القلم : 3/ 374.

(1) الثقافة العربية والشباب : ص54.

(2) ينظر الهوية والقلق والإبداع : 64، و الإعلام العربي وإنهيار السلطات اللغوية:431.

(3) الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال : 107-108.

(4) اللغة العربية وتحديات العولمة، المجلة العربية للثقافة، ع43 ، س21 : 418.

(1) وحي القلم : 3/32-33.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري(ت538هـ)، دار الفكر-

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

1399هـ 1979م.

2- أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، د. راتب قاسم عاشور، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2003 م.

3- الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي ، للدكتور متولي يوسف حسن ، مجلة الأزهر ، العدد السادس ، مصر ، 1984 .

4- أصول الإعلام الإسلامي ، للدكتور إبراهيم إمام ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1997.

5- الأعلام :قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء في العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، ط5 ، بيروت ، لبنان ، دار العلم للملايين ، 1980م.

6- الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، عبد العزيز شرف ، دار قباء ، القاهرة ،1998م.

7- الإعلام العربي وإنهيار السلطات اللغوية ، د.نسيم الخوري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2005م.

8- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر(ت310هـ)، دار الفكر – بيروت – 1405هـ.

9- الثقافة العربية والشباب، علي ليلة ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 ، 2003م.

10- الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار ،عالم الكتب ، بيروت ،د.ت.

11- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار المعارف بمصر ،د.ت.

12- العربية لغة العلوم والتقنية، د. عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، ط2، 1986 م.

13- العربية لغة العلوم والتقنية، د. عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، ط2، 1986 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، د. عبده الراجحي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، د.ت.

15- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت711هـ)، دار صادر ، بيروت، ط1، (د.ت).

16- اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض بها، د. السيد خضر ، ط1، بدون دار نشر، بدون مكان نشر،2003م.

17- اللغة العربية: مناهجها وطرائق تدريسها، د. طه علي حسين الدليمي ود. سعاد عبد الكريم عباس الوائلي، ط1،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2005م.

18- اللغة العربية وتحديات العولمة، عبدالله أبو هيف ، المجلة العربية للثقافة،ع43، س21،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ،ديسمبر2002م.

19- مشكلات حياتنا اللغوية ، أمين الخولي، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، .1987

20- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(ت770هـ)، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت ، (د.ت).

21- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ط2، 1420هـ - 1999م.

22- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم ، بيروت ، ط5 ،1984 .

23- موسوعة الإعلام والصحافة ، لطلعت همام ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3 ، 1988.

24- الهوية والقلق والإبداع، محمد إبراهيم عيد، دار القاهرة ، القاهرة،ط1 ،2002م.

25- وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1974م.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com